

آراء السابقين من الكتاب والشعراء وذوى البصر بالأدب ، سواء من العرب أم من غيرهم ، دون أن يخلص إلى تصور محدد ، على حين قصد الرماني إلى هذا التصور المحدد من أول وهلة . وقد رفض أن تكون البلاغة إفهام المعنى ، لأنه قد يُفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ ، والآخر عَمِي ، كذلك رفض أن تكون البلاغة بتحقيق اللفظ على المعنى ، لأنه قد يُحقق اللفظ على المعنى ، وهو غث مستكره ، ونافر متكلف . والمفهوم الذى يرتضيه أن البلاغة « إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ »<sup>(٥٩)</sup> . ونظن ظنا أقرب إلى اليقين أن أبا هلال العسكري قد أخذ هذا التعريف ، واعتمد عليه في صياغة تعريفه الذى سنشير إليه فيما بعد .

ومع وضوح هذا المعنى للبلاغة عند الرماني لم تكن كل الوجوه العشرة التى ذكرها من البلاغة حقيقة ، فالتصريف والتضمين كما أوضحهما ، ليسا من البلاغة في شيء ، وإنما هما أقرب إلى ميدان علم الكلام الذى كان هو واحدا من فرسانه ، وليس هناك أدنى صلة بين « التضمين » عنده ، وظاهرة « التضمين » المعروفة في البديع . لهذا لم يعتد أحد من البلاغيين بهذين الوجهين ، ولا نكاد نرى لهما أثرا فيما نعرف من كتب التراث البلاغى .

أما الوجوه البلاغية الباقية فقد كانت معروفة بأسمائها بين النقاد وغيرهم من أهل اللغة والأدب ، والجديد الذى ينبغى تسجيله والتنويه به إنما يتراءى في أسلوب معالجته لتلك الوجوه ؛ فهو مستقل في تفكيره ورأيه ، ينزع إلى التنظير ، ومحاولة ضبط الصور البلاغية التى يعرض لها ضبطا منهجيا إلى حد كبير ، وذلك بتعريفها ، ثم بيان ما يراه من أقسام لها ، وتوضيح ذلك بالشواهد القرآنية . وكان له في ذلك صوت مسموع تردد صداه في البحث البلاغى لدى نفر من العلماء الذين عاصروه أو أتوا بعده ، سواء وافقوه في رأى أم خالفوه<sup>(٦٠)</sup> . وأوضح ما يتمثل فيه ذلك مما تناوله من الوجوه البلاغية للتشبيه ، والاستعارة ، والإيجاز ، ففي التشبيه اختط لنفسه نهجا اختلف به اختلافا بينا عن ناقدين بارزين سبقاه إلى

(٥٩) النكت في إعجاز القرآن ، ( ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ) تحقيق محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ص ٧٥ ، ٧٦ .  
(٦٠) انظر في ذلك النكت في إعجاز القرآن ص ١٦٤ .